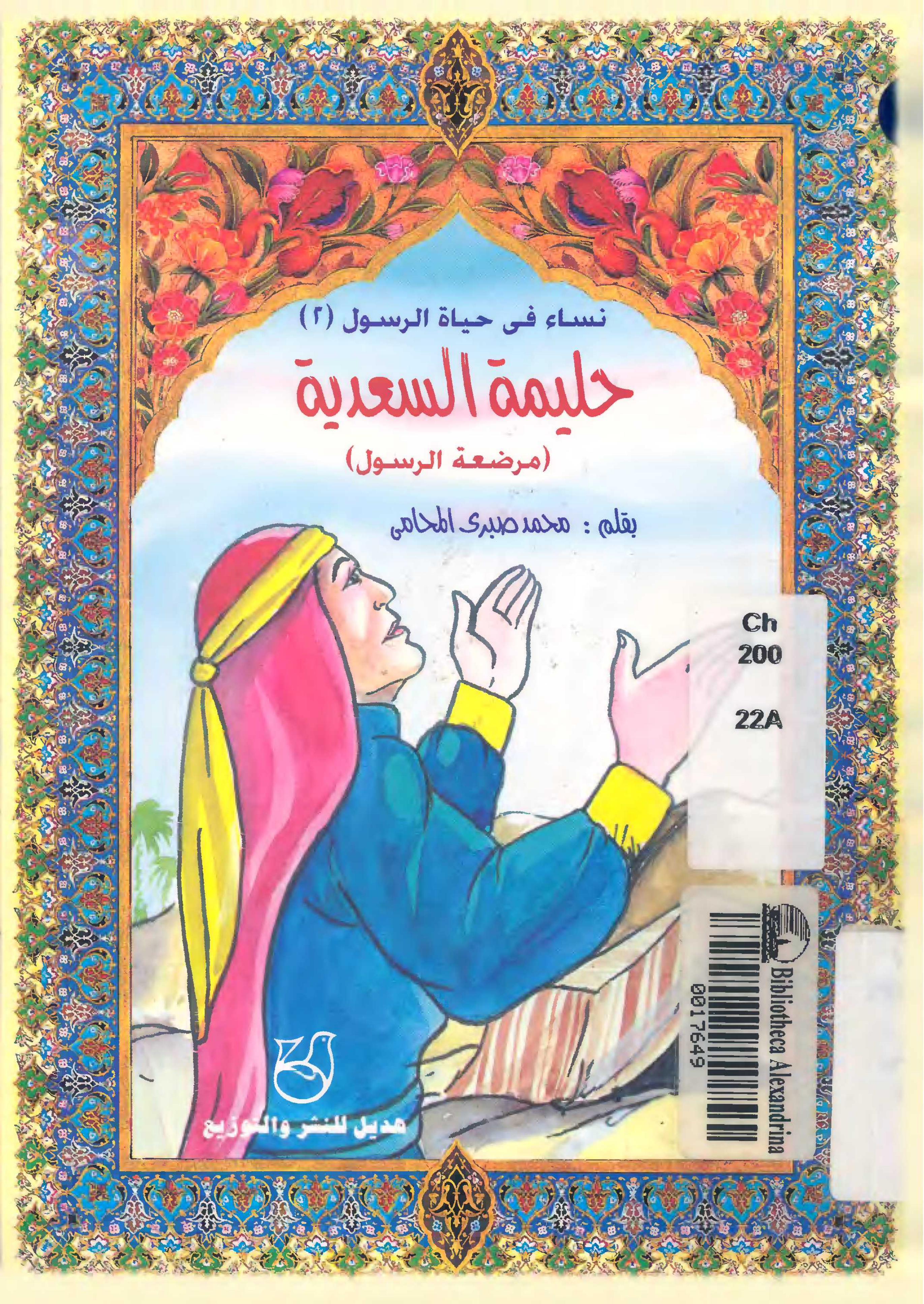


نساء فى حياة الرسول (٢)
حليمة السعدية
(مرضعة الرسول)
بقلم : محمد صبرى المحامى
هديل للنشر والتوزيع

نساء فى حياة الرسول (٢)

حليمة السعدية

(مرضعة الرسول)

بقلم:
محمد صبرى محمد عطية المحامى



هديل للنشر والتوزيع

انتهتْ مُدَّةُ حَمْلِ السيدةِ "آمِنَةُ" فَوَضَعَتْ وَلِيدَهَا مُحَمّدًا "سَيِّدَ الخَلْقِ" بَعْدَها أَقْبَلَتْ عليه تُرضِعُهُ، وما أَنْ أرضعتهُ أيامًا مَعْدُودات حَتَّى جَفَّ اللَّبنُ.

ويقول المؤرخون: إنها بعد ذلك دفعتْ به إلى "ثُوَيْبَةَ" جَارِيَةِ عَمِّهِ عبد العُزَّى "أبى لهبٍ" وكانتْ "ثُوَيْبَةُ" قد أَرْضَعَتْ قبله عَمَّه "حَمْزَةَ بن عبدِ المُطَّلِبِ" بلبن ابنها مَسْرُوْح.

ثُمَّ لم تَمْضِ إلا أيامٌ حتى أتتِ المَرَاضِعُ من دِيَارِ بنى سَعْدٍ بن بكرٍ يعرضن خدماتهن على المُوْسِرَاتِ من قُرَيشٍ، فَعُرِضَ عليهنَّ "مُحَمدُ بن عبدالله" فرفضنه لِيُتمِهِ.

وتحقيقًا لذلك تحكى كُتُبُ السِّيْرَةِ عن السَّيدةِ "حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ" أنها قالت:

(فَمَا مِنَّا امرأةٌ إلا وقد عُرِضَ عليها محمد ﷺ فتأباه إذا قيل لها أنه يتيمٌ، وذلك أنا إِنَّما كُنَّا نَرْجُو المَعْرُوف من أبى الصَّبىِّ، فكنا نقول: يتيم ؟!!!

وما عسى أن تصنع أمه وجده ...؟

فما بقيت امرأةٌ قدمت معى إلا أخذت رضيعًا، غيرى، فَلَمّا أجمعنا على الانطلاق قُلتُ لصاحبى: والله إنِّى لأكرهُ أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعًا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخُذَنَّه.

قال: لا عليك أن تفعلى، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة).



كان ما تقدم نقلاً عن السيدة "حليمة السعدية" واسمها حَليمةُ بنتُ أبى ذُؤيبٍ السَّعْدِيَّة، واسمُ زَوْجِهَا "أبو كبشةٍ" الحَارِثُ بنُ عَبْدِالعُزَّى السَّعْدِىّ.

أجَلْ، لقد اختار اللهُ - سبحانه وتعالى - هذه السيدة لِتُرضِعَ "سَيِّدَ الخَلْقِ" ولتَتَشَرَّفَ بكونها أُمَّهُ فى الرضاع، وذلك بعد ما عَزَّ على أمه السيدة "آمنة" أن ترى المراضع يذهدن ابنها لأنه يتيمٌ، نعم يتيمٌ وفقير فما ترك له أبوه سوى جاريته "بركة الحبشية" وخمسة أجمال على نحو ما تُحدِّث به كتب السيرة آنئذٍ أَخَذَتْهُ السَّيِّدَةُ "حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ" ووضعته فى حجرها فرضع حتى روى، ورضع معه أخوه حتى روى، وكان للسيدة "حليمة السعدية" من الولد عبد الله، أنيسة والشيماء.

انتقلت السيدة "حليمة السعدية" بالنبى ﷺ إلى ديار بنى سعد حيث البادية والجو المفتوح والهواء النقى الذى كان يملأ الجو فى بادية بنى سعد.

وهكذا أخذ النبى ﷺ ينمو ويكبر، فى بادية بنى سعد، وأخذت البركة تحل على البادية بأسرها فلم تقتصر على دار "أبى كبشة" فحسب، ... بل امتدت بركة النبى ﷺ لتغشى الناس والدواب، انتهت الرضاعة، وبلغ اليتيمُ فطامه فحملته السيدة "حليمةُ السعديةُ" راجعةً به إلى مكة وقد بلغ بها الأسى والحزنُ أى مبلغ لأنها لا تُريدُ أن تَترُكَهُ لما رأتهُ من بركةٍ قد حلت بها وبأهل



البادية أجمعين منذ أخذته لترضعه، ولما وصلت به إلى مكة تناولته أمه السيدةُ "آمنة" التى استقبلته بِكُلِّ الحُبِّ والحنان، وراحتْ تَضَعُهُ فى حِجرِها وتَضُمُّه إلى صدرها لتُشبع شوقًا كان قد ملأها منذ فارقها النبى ﷺ فى هذه الأثناء كانت السيدة "حَلِيمةُ السَّعْدِيّةُ" قد فكرت فى استرجاع النبى ﷺ معها إلى البادية مرة أخرى.

فقالت للسيدة آمنة:

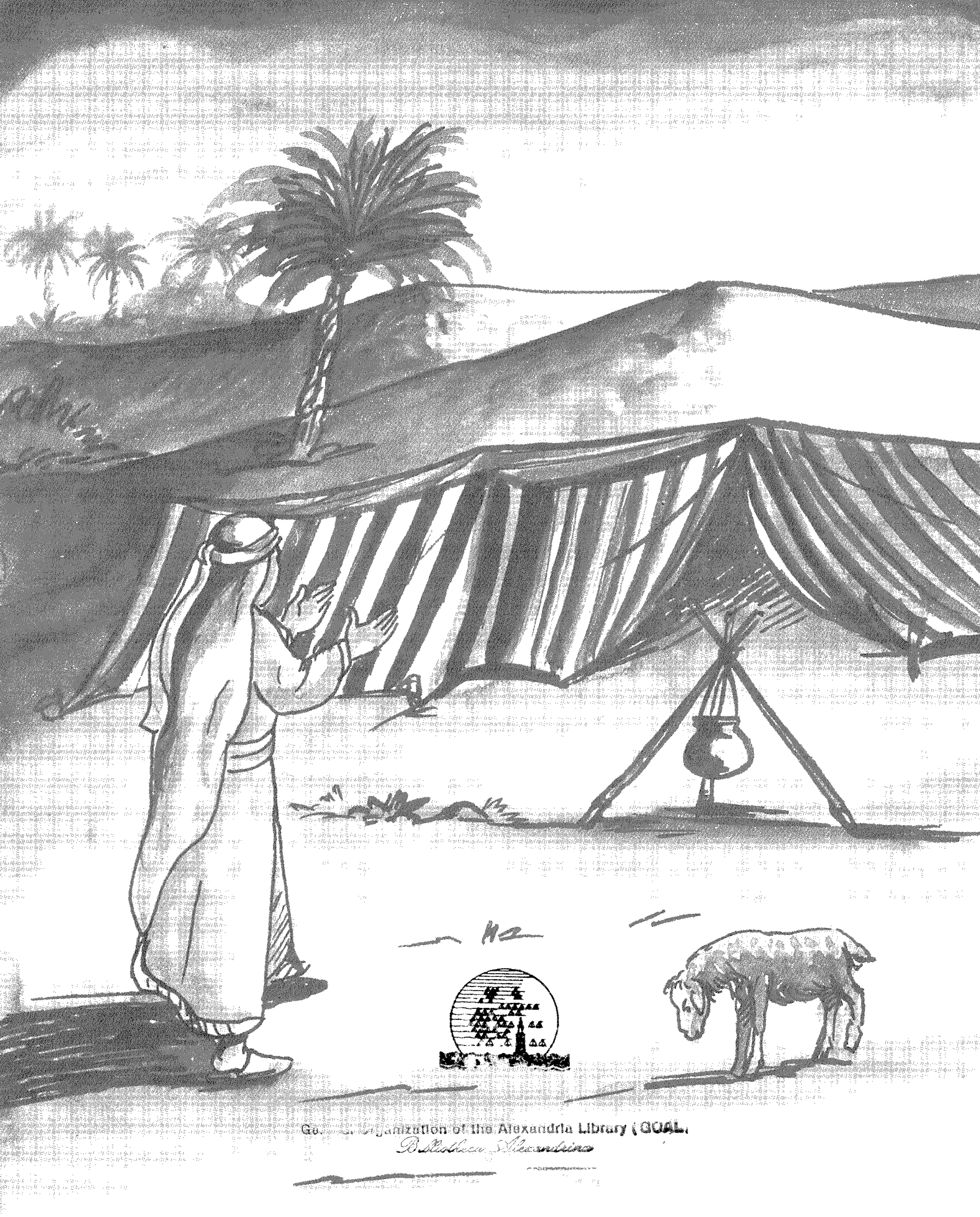
(لو تركت بُنَّى عندى حتى يغلظ، فإنى أخشى عليه وباء مكة)

عند ذلك فكرت السيدة "آمنة" فى إعادة ابنها فترة أخرى إلى البادية حيث تعلم أنه أفضل لصحته أن يعيش بعيدًا عن جو مكة شديد الحرارة لا سيما وهو طفلٌ.

ومرة أخرى تماسكتْ السيدةُ "آمنةُ" واحتملتْ فِرَاقَ ابنها الحبيب "محمد" تحقيقًا لمصلحته وحرصًا على صحته، ولما كان ذلك، فقد امتلأتْ نَفْسُ السيدةِ "حليمةَ السعدية" غِبْطَةً وسُرورًا لنجاحها فى إقناع السيدة "آمنة" ببقاء "محمد" معها.

ورجعت السيدة "حليمةُ السعديةُ" إلى بادية بنى سعد ومعها "محمد" الذى أسعد بعودته أهل البادية أجمعين.

عبق جو البادية بأريج "محمد" ﷺ فقد كان طيبًا منذ طفولته وظل طيبًا حتى لقى الله سبحانه وتعالى ولكن.



بعد بضعـةِ أشْـهُرٍ عَـادَتْ السـيدةُ "حليمـةُ السـعديةُ" إلـى مكـة ومعها "محمد" ﷺ فاستقبلتهما السيدة "آمنة" بِحُبٍّ وعجب..

حب جمع بينها وبيـن حبيبهـا اليتيم "محمـد" وعجـب لأمـر "حليمـة" التى ألحت فى استبقاء "محمد" معها بعد فطامه.

فلماذا تلك العودة السريعة ؟

سألت السيدة "آمنة"

فأجابت السيدة "حليمة":

قد بلـغ اللـه بـابنى، وقضيـت الـذى علـىّ، وتخوفـت الأحـداث عليه فأديته إليك كما تحبين.

إلا أن السـيدة "آمنـة" رأت الجـواب غير مقنـع، فراحـت تُلِـحُّ على "حليمة" لتحكى لها ما حدث، ولنترك السيدة "حليمـة السـعدية" تحكى ما حدث.

قالت، فيما روى عن عبدالله بن جعفر بن أبى طالب:

(فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر، مع أخيه -من الرضاعـة- لفى بَهْمٍ لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد فقال لى ولأبيه:

ذاك أخـى القرشـى قـد أخـذه رجـلان عليهمـا ثيـاب بيـض فأضجعاه، فشقا بطنه، فهما يسوطانه.

فخرجـتُ أنـا وأبـوه نحـوه، فوجدنـاه قائمًـا ممتقعًـا وجهـه. فالتزمتُهُ والتزمه أبوه، فقلنا له: مالك يابُنى؟



قال: جاءنى رجلان عليهما ثيابٌ بيضٌ فأضجعانى وشقا بطنى، فالتمسا شيئًا لا أدرى ما هو، فرجعنا به إلى خبائنا، وقال لى أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون الغلام قد أصيب، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به.

فاحتملناه فقدمنا به، والله لا نرده إلا على جَدْع أنفنا.

وهنا توقفت السيدة "حليمة السعدية" فسألتها السيدة "آمنة"؟

أفتخوفت عليه الشيطان؟

قالت: قلت نعم

قالت: السيدة "آمنة": كلا. والله ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لِبُنَيَّ لشأنًا، أفلا أُخبرك خبره، قالت: قلت: بلى.

قالت السيدة "آمنة": رأيتُ حين حملتُ به أنه خرج مِنِّى نُورٌ أضاء قُصُور بِصْرَى من أرض الشام ثم حملت به، فوالله ما رأيتُ من حملٍ قط كان أخفَّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدتُه وإِنَّه لواضعٌ يديه على الأرض رافعًا رأسه إلى السماء دعيه عنك وانطلقى راشدةً.

هنالك، رجعت السيدة "حليمة السعدية" بالذاكرة إلى أيام كانت قد انقضت، حين كان النبى ﷺ معها فى بادية بنى سعد لما رجعت به بعد فطامه، حيث تقابل معها نفر من نصارى الحبشة، ومعها "محمدٌ" فنظروا إليه.

وسألوها عنه ..، وفحصوه مليًا، ثم قالوا لها:



لنأخذن هذا الغلام فلنذهب به إلى بلدنا، فإن له شأنًا نحن أدرى به وأعرف.

وتذكرت يومها أنها اختطفته منهم، وفرت به إلى خيمتها...، ليس ذلك فحسب، بل لقد تذكرت السيدة "حليمة السعدية" ما حدث لها يوم أن انطلقت بولدها "محمدًا" من مكة لأول مرة، قاصدة بادية بنى سعد ... إذ مر بها نفر من اليهود فسألتهم، ألا تحدثونى عن ابنى هذا؟

فما راعنى إلا أن قال بعضهم لبعض: اقتلوه.

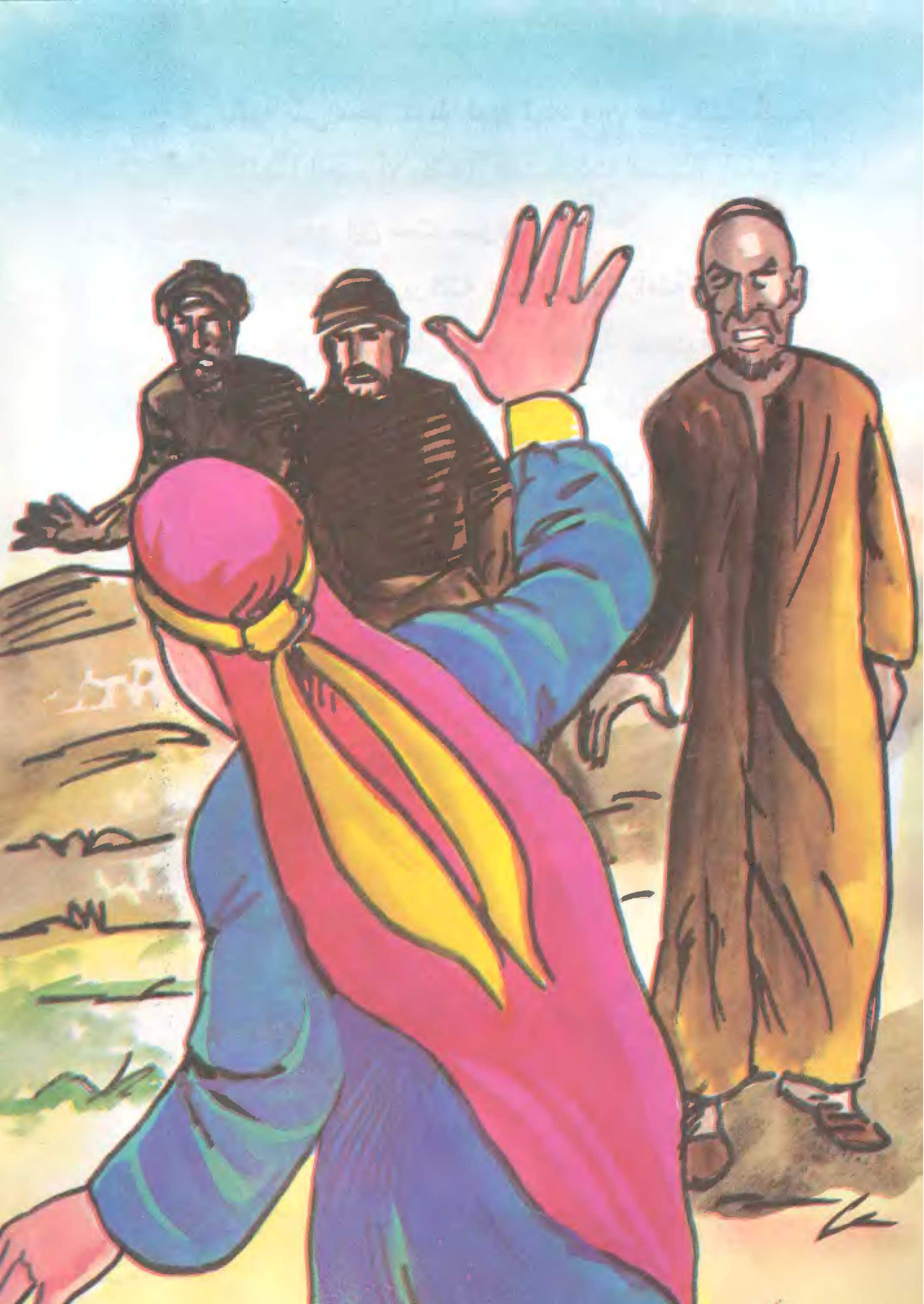
ثم سألوها ..؟ أيتيمٌ هو ؟

قالت: لا

أنا أمه، وهذا أبوه، وأشارت إلى زوجها فقالوا لها: لو كان يتيمًا لقتلناه.

عندئذٍ علمت السيدة "حليمة السعدية" أن ابنها هذا مباركًا وله شأن يعلمه أحبار اليهود والنصارى، وقد حقق لها ما ذهبت إليه رواية السيدة "آمنةُ" لها عما رأته عند حملها به.

وعند هذا الحد انتهت مهمة السيدة "حليمة السعدية" فقد تم للنبى ﷺ رضاعه وفطامه، وتسلمته السيدة "آمنة" أمه بعد أن قالت للسيدة "حليمة السعدية" ... (دعيه عنك وانطلقى راشدةً) بكل الحب ودعت السيدةُ "حليمة السعدية" ابنها الحبيب، وبكل الحب استقبلت السيدة "آمنة" ابنها الحبيب، الذى لم يكن طيفه يفارقها



أيام كان فى بادية بنى سعد لفرط حبها لـه، وإن كـان اللـه سـبحانه وتعالى قد أراد لهذا الحب ألا يطـول فقـد مـاتت السـيدة "آمنـة" بيـن يدى ابنها الحبيب وهو ابن ست سنوات.

ألا رحمة الله وبركاته على السيدة "آمنة"

ورحمته وبركاته على السيدة "حليمة السعدية"

وإلى أن ألقاكم فى حلقة قادمة أحكى لكم فيها خبر السيدة

"بركة الحبشية - أم أيمن حاضنة الرسول"



الأنشطة

١- ما هو المقصود بكتب السيرة كما تفهم من هذه القصة ؟

٢- فبلغ اليتيم فطامه فحملته السيدة "حليمة السعدية" راجعة إلى مكة وقد بلغ بها الأسى والحزن أى مبلغ .... "

(أ) من الطفل اليتيم ؟ ولماذا رجعت به حليمة إلى مكة ؟

(ب) ما هو سبب حزن حليمة ؟

(ج) كيف كان استقبال أم الطفل لولدها ؟

٣- ألحت السيدة حليمة رضى الله عنها على آمنة فى أن تبقى محمدًا معها بعد فطامه فترة أخرى حتى يغلظ ويشتد ولكنها سرعان ما عادت بالطفل إلى أمه.

(أ) معنى ألحت (طلبت- ألحفت وأكدت- رغبت)

(ب) ما هو السبب الذى جعل حليمة تلح على السيده آمنة لتبقى محمدًا فترة أخرى فى بادية بنى سعد ؟ هل نجحت حليمة ؟

(ج) لماذا ردته إلى أمه بعد بضعة أشهر ؟

الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

رقم الإيداع: ٨٩٨١- ٩٦

الترقيم الدولى: 977- 5316

هديل للنشر والتوزيع

الزقازيق ش ٢٣ يوليو (البوستة)

ت وفاكس: ٣٤٠١٨٣ (٠٥٥) ص.ب: ٢٧٣

طبع آمون

٤ عطفة فيروز - متفرع من ش إسماعيل [illegible]

تليفون: ٣٥٤٤٥١٧ - ٣٥٤٤٣٥٦

تعلن دار هديل عن رحلتها الشائقة إلى الأراضى المقدسة التى شهدت مشرق أنوار الرسالة الإسلامية المحمدية لنجتلى صفحة ناصعة زاهرة لطائفة من بنات حواء اللائى ساهمن بجهادهن وحبهن وحنانهن فى إعلاء راية الحق، فلقد أيدن النبى - عليه السلام - وناصرنه وكن له نعم الوزير والسلوى إذا ما أطبق ظلم الجاهلية وظلامها وألمت به الملمات.

فاسمحوا لنا أن نصحبكم وأن نخترق حاجزى الزمان والمكان لنشرف بلقاء نسوة لهن أيادى بيض أعز الله بهن الإسلام فهذه آمنة التى حملت بأشرف وأعظم مولود وهذه حليمة السعدية مرضعته وهذه خادمته الوفية بركة الحبشية التى لازمته طيلة مراحل حياته وقد حرصت على ملازمته حتى فى بيت الزوجية وهذه الشيماء أخته فى الرضاع والتى هجرت زوجها لأنه جفا محمداً عليه السلام وأبغضه وهذه أسماء بنت عميس .. السيدة الفضلى التى كان لها دوراً عظيماً فى مساندة الدعوة والداعية.

اقرأ فى هذه السلسلة:

١. آمنة بنت وهب
٢. حليمة السعدية
٣. بركة الحبشية
٤. الشيماء
٥. أسماء بنت عُميس



هديل للنشر والتوزيع